مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

قُـرآنُنـــا

عبدُ الحليم الغِـزّي

منشـورات موقع زهرائيـون

قُـرآنُنـــا

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في تسعة وعشرين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 13 / 03 / 2010

يـــا زهـــــراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلي على مُحمَّدٍ وآلِ مُحمَّد وعَجل فَرَجَهُم والعن أعدائهم

الحلقة الاولى

تفسير سورة الفاتحة

السلامُ عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، مساكم الله بالخير والإيمان، برنامجٌ جديد وهذه الحلقة الأولى من برنامج قرآننا، برنامجُ قرآننا أو قُرآنُنا على نحو الحكاية أتناول فيهِ في كل حلقةٍ من حلقات هذا البرنامج صفحةً واحدةً من صفحات المصحف الشريف ربما أتجاوزها إلى آيةٍ أو آيتين بحسب الحاجة إلى إتمام المعنى، أحاول أن أبتعد عن التعقيدات في تفسير كتاب الله فلا أحاول الدخول إلى تفاصيل علم البلاغة أو إلى ما يذكرهُ المتكلمون والفلاسفة، أُسلِّطُ الضوء على المعاني اللغوية وعلى ما ورد عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بنحوٍ مجمل لا بنحو التفصيل وأشرعُ من الصفحة الأولى من كتاب الله الكريم.

أولُ صفحةٍ من صفحات الكتاب الكريم تواجهنا سورة الفاتحة ذاتُ الآيات السبعة، سورة الفاتحة هي بمثابةِ براعة استهلالٍ للكتاب الكريم الخطوط العامة والمضامين الرئيسة في الكتاب الكريم تجتمعُ في هذه السورة، السورة التي سماها الباري سبحانه وتعالى السبع المثاني وسميت بالسبع المثاني لأنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله مرتين مرةً في مكة ومرةً في المدينة وهناك قولٌ أنها سميت بالسبع المثاني لأنها تُقرأ على نحو الوجوب في كل صلاةٍ مرتين ولا صلاة إلا بفاتحة الكتاب كما يقول صلى الله عليه وآله وسلم الفاتحة هي التي يُفتتح بها كتابُ الله وهي بمثابة المقدمة الأمثلةُ تُضرَبُ ولا تُقاس حينما يكتب أيُ كاتب كتاباً، يُصنِّفُ أي مصنفٍ مُصنَّفاً فيجعلُ لهُ مقدمة في مقدمة الكتاب يحاول المؤلف أن يُجمل أهم المطالب أهم المعاني أهم الخطوط في كتابه فيضعها في هذه المقدمة كتعريفٍ لكتابهِ هذا المعنى هو نفسهُ موجودٌ في الكتاب الكريم ولربما أخذ المؤلفون والمصنفون هذه الطريقة من الكتاب الكريم وعلى أي حالٍ الفاتحةُ هي خُلاصةٌ لأهم مضامين الكتاب الكريم بشكلٍ مُجمل أمر على آيات سورة الفاتحة.

أولُ آيةٍ وهي البسملة وقد وصفتها روايات أهل بيت العصمة بأنها أعظمُ آيةٍ في كتاب الله المخالفون لأهل البيت حذفوا هذه الآية من سورة الفاتحة لذلك في كلمات إمامنا الصادق عليه السلام وغيرهِ من الأئمة: **قاتلهم الله عَمَدوا إلى أفضل آيةٍ في كتاب الله فحذفوها واعتبروا إظهارها بدعة**، هكذا في كلمات المعصومين، أولُ آيةٍ هي آيةُ البسملة وهي أعظمُ آيةٍ في كتاب الله ثم تبدأُ الآياتُ تِباعاً الآيةُ الثانية تحميدٌ لله

رب العالمين وفي هذه الآية حديثٌ عن التوحيد ثم أهم صفات الباري الرحمن الرحيم ثم مالك يوم الدين، والرحمن الرحيم هي إشارةٌ إلى صفات جمالهِ ومالك يوم الدين إشارة إلى صفات جلالهِ البسملة والآيتان اللتان بعد البسملة ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرحمن الرحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ هذه الآيات كلها تتحدثُ عن التوحيد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ الحديثُ هنا عن عبادةٍ وعن استعانة وعن صراطٍ مستقيمٍ وعن هداية وهو أهمُ مطلب يتحدثُ عنه القرآن ثم بيانٌ للناس ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ **هذا صنف** ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ﴾ صنفٌ آخر ﴿وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ صنفٌ ثالث، فالآية تتحدثُ عن التوحيد في خطوطهِ العامة وتتحدثُ عن الدين في خطوطهِ العامة من العبادة والاستعانةِ والهداية والصراط المستقيم وتتحدثُ عن تصنيف الناسِ إلى الذين انعمت عليهم وإلى المغضوب عليهم وإلى الضالين وتقريباً هذه هي أهمُ المطالب وأهم المضامين التي تحدَّثَ عنها القرآن الكريم لذلك كانت هذه السورة فاتحةً للكتاب ومختصرةً ومُجمِلةً لأهم مضامينهِ ولأهم مطالبه، هذا المعنى العام المجمل لسورة الفاتحة. أدخلُ في كلماتها وألفاظها وآياتها من دون التوغل كثيراً في المطالب الجانبية تبتدئُ السورة:

﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الباءُ هذه متعلقة بفعلٍ محذوف في العربية حينما يأتي الجار والمجرور لابد أن يسبقهُ عامل هذا العامل هو الذي يؤثرُ عملهُ في الجار والمجرور فالجار والمجرور متعلق بفعلٍ محذوف التقدير: **أفتَتِحُ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**، لذلك هي الفاتحة ربما قدَّرهُ البعض أبتدئُ ولكني أرى أن أفتَتِحَ أولى لأنها هي الفاتحة وإن كان الابتداء هو افتتاح لكنَّ الأنسب بأسم السورة الفاتحة فأقول: **أفتَتِحُ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**، الأسمُ في لغة العرب مأخوذٌ من السِمة والسمة هي العلامة ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ولفظُ الجلالة الله في أصلهِ في أصل تكوينه اللغوي مأخوذٌ من الوله أو من الأله، الوله الحيرة وذاتهُ هي الذات التي تتحير فيها العقول كلما ازددتم تفكراً كما يقول إمامنا الصادق عليه السلام: كلما ازددتم تفكراً في الله كلما ازددتم تحيراً، والأله العبادة فهو الذات التي تُعبد والتي تتحير فيها العقول ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ **الرَّحْمَنِ**: في العربية هي صيغةُ مبالغة ولذلك يُقال: الرحمن رحمانٌ بالمؤمن والكافر رحمانٌ بكل الخلائق، **الرَّحِيمِ**: صفة مُشبّهة والرحمن والرحيم يأتيان من الرحمة، الرحمة الإلهية لا يمكننا أن نتصور حقيقتها لكننا ننطلقُ من رحمة المخلوق لأن المخلوق فيهِ شيءٌ من صفة الخالق ما في المخلوق شيء إلا وهو من الله سبحانه وتعالى، الرحمة عند الإنسان الرحمةُ هي انفعال حينما شعورٌ انفعاليٌ يلم بالقلب الإنسان الرحيم أو حينما يتصفُ الإنسان بالرحمة أو يعيشُ حالة الرحمة ينتابهُ شعورٌ انفعاليٌ ينفعل لأي شيءٍ لإتمام نقص

غيرهِ، حينما نرى إنساناً جائعاً يتضور من الجوع يصيبنا شعورٌ هذا الشعور هو انفعال بما رأيناه من نقصٍ عند هذا الإنسان عند هذا المخلوق هذا الشعور يدفعنا لإتمام نقصهِ لأن نُطعِمَ هذا الجائع، حينما يمرضُ طفلٌ من أطفالنا فيُصيبنا هذا الانفعال يصيبنا هذا الشعور بأننا نحاول أن نُتَمِمَ هذا النقص نأخذ هذا الطفل المريض إلى الطبيب ثم نُمرِّضهُ ثم نعالجهُ ثم نُراقبُ دوائهُ وهكذا، الرحمةُ هو شعورٌ انفعاليٌ يلم بقلب الإنسان لأي شيءٍ حينما يرى مخلوقاً يحتاجُ إلى إتمام نقصهِ طبعاً هذا بالنسبة للإنسان الإنسان يمتلك المشاعر والإنسان تصيبهُ حالة الانفعال بالنسبة لله سبحانه وتعالى الله سبحانه وتعالى مُنزَّهٌ عن هذه المشاعر الناقصة ومُنزَّهٌ عن حالة الانفعال التي انفعل بها أنا أو غيري من المخلوقات.

رحمة الباري سبحانه وتعالى لطفهُ وجمالهُ وفيضهُ الذي يَعمُّ جميع الوجود – **يا مَنْ وَسِعَت رَحْمَتهُ كُلَّ شَيء** – جمالهُ الظاهرُ في كل الوجود ولطفه الظاهر في كل الوجود رحمتهُ التي وسعت كل شيء ولطفهُ الذي نفذَ في كل شيء وعَمَّ كُل شيء رحمتهُ معنىً من المعاني التي لا يجدُ الإنسان عبارةً أو لفظاً يشرحها أو يُعبِّرُ عن هذا المعنى أو عن هذا المضمون نعم نحنُ نتحسسها، نتحسسُ رحمة الله بالفطرة وبالبديهة نتحسسُ جمال الله بوجداننا وبباطن عقولنا وبقلوبنا هذه المعاني الإلهية لا نستطيعُ أن نُعبِّرَ عنها بالألفاظ لكننا نُعبّر عن معاني الرحمة في المخلوق ومن خلالها يمكننا أن نُشيرَ من بعيد إلى معنى رحمة الله سبحانه وتعالى فهو الرحمن وهو الرحيم، الرحمن والرحيم في أصلهما من معنى الرحمة لكن الفارق بينهما أن الرحمن صيغة مبالغة والرحيم كما يُقال صفة مُشبّهة فالرحمن تشير إلى عموم الرحمة ولذلك يُقال أن الرحمن يشير إلى الرحمة العامة والرحيم يشير إلى الرحمة الخاصة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فالسورةُ تبتدئ بأسم الله الذي صفتهُ الرحمانية والرحيمية وكلُّ شيءٍ في هذا الوجود ما وُجد إلا وقد شعَّ عليه فيضٌ من أسم الله في رواياتنا الشريفة – **كان الله ولم يكن معهُ شيء** – كان الله ولم يكن معهُ شيء، هو الأول الذي لا أولية لأوليته وهو الآخر الذي لا آخرية لآخريته، هو الأول والآخر والظاهر والباطن هو المحيطُ بكل شيء سبحانه سبحانهُ سبحانه، فكان ولم يكن معهُ شيء ثم تكلَّمَ بكلمة فكانت هذه الكلمة نوراً ومن ذلك النور أفاض الله سبحانه وتعالى بفيضهِ على الوجود من ذلك النور تفرَّعَت كُلُّ الأنوار، تفرَّعَت الأنوار العالية وتفرَّعت كلُّ الوجودات في عوالمها العلوية والسفلية في عوالم الغيب وفي عوالم الشهادة هذه الكلمة الأولى هي أسمُ الله ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هذه الكلمة الأولى هي أسمُ الله الذي تجلى فيها معنى الرحمانية ومعنى الرحيمية فَكُلُّ ما في هذا الوجود هو منشقٌ من ذلك النور الذي جاء من الكلمة الأولى، كلُّ شيءٍ في هذا الوجود يحملُ سِمةً ويحمل عنواناً ويحمل سبباً وارتباطاً بتلكم الكلمة الأولى التي تكلَّم بها سبحانه وتعالى فكانت نوراً وكانت روحاً ومن ذلك النور ومن تلكم

الحقيقة شعَّت كل الأنوار الأخرى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الحمدُ هو شكرٌ ولكنهُ لهُ خصوصية عندنا نفس هذه الحروف الحاء والميم والدال تُركَّب مرةً فيُقال حَمد ومرةً يُقال مدح ما الفارقُ بين الحمد وبين المدح؟ الحمدُ شكرٌ والمدح شكرٌ، الحمدُ كما يُقال هو شكرٌ على الجميل الاختياري والمدحُ هو شكرٌ على الجميل الاضطراري لا أريد الخوض كثيراً في هذه المصطلحات وفي هذه التفاصيل لكن بشكلٍ موجز أقول: الجميلُ الاختياري هو الجميل الذي يصدرُ عن فعل صاحب هذا الجميل لنأخذ الإنسان مثالاً، الإنسانُ الذي يتمتعُ بجمال الوجه وبجمال الجسد ويتمتعُ بجمال العقل وبالذكاء هذا النحو من الجمال هذا جمالٌ اضطراري لم يكن الإنسان قد أوجدهُ في نفسهِ حينما يملكُ الإنسان جمال الوجه وجمال الجسد وجمال العقل وجمال الذكاء هذه المعاني لم يكن الإنسان قد أوجدها لنفسهِ بنفسه فيُقال لهذا النحو من الجمال جمالٌ اضطراري جاءهُ على نحو الاضطرار لكن حينما يكون الإنسان صادقاً حينما يكون الإنسان أميناً حينما يكون الإنسان كريماً تصدرُ منهُ أفعال الصدق وأفعال الأمانة وأفعال الكرم وسائرُ الأفعال الجميلة تصدر منه بفعلهِ وبنيتهِ وباختيارهِ يُقال لهذا الجمال جمالٌ اختياري ففارقٌ بين الجمالين بين الجمال الاضطراري وبين الجمال الاختياري، الجمال الاختياري هو الذي يصدرُ من الإنسان بنيتهِ وبرغبتهِ وبإرادتهِ وباختياره.

﴿الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هنا ثناءٌ وشكرٌ لله سبحانه وتعالى على جميلهِ الاختياري الله سبحانه وتعالى حين فاضَ على الوجود بفضلهِ وبِمنّهِ فكان باختيارهِ لم يكن هناك من اضطرارٍ اضطرهُ لذلك هو مختارٌ من صفاتهِ سبحانه وتعالى أنهُ مختارٌ مُريدٌ هو أراد هذا الأمر وباختيارهِ أراد أن يوجد الوجود وباختيارهِ أوجد الوجود وباختياره أسبغ على هذا الوجود هذا الجمال وهذا اللطف وهذه الرحمة فالتحميد هنا تحميدٌ شكرٌ لله على جميلهِ الاختياري ﴿الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وربّ: هي بمعنى المربي، رب مثلُ كلمة عدل حينما نقول شاهدٌ عدل، الشاهد العدل كلمة عدل هي مصدر في أصلها في لغة العرب والصفةُ شاهدٌ عادل لكن العرب في بعض الأحيان تستعمل المصدر على سبيل الصفة فكأن هذا الشاهد هو مصدرٌ للعدل فيوصفُ بالعدل شاهدٌ عدل كلمة عدل مصدر لكننا نقول شاهدُ عدل، كذلك رب هي مصدر وإلا الصفة مُربي، الحمد لله مربي العالمين ﴿الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرب هو المربي والمربي هو الذي يُنشئ الأشياء شيئاً فشيئاً، يُنشئها شيئاً فشيئاً يُكمِّلُها شيئاً فشيئاً، يُنبتها نباتاً حسناً ﴿الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ العالمين: جمعٌ لعالم والعالم هو ما يُعْلَم، والذي يُعلم لابد أن تكون لهُ حدود لابد أن تكون له خصائص حتى يُعلم بحدودهِ وبخصائصهِ، فكلُّ مجموعةٍ أو كلُّ طبقةٍ من طبقات هذا الوجود لها خصائص لها مميزات يُقال لها

عالم، العالم هو الذي يُعْلَم والذي يُعلَم لابد أن يكون موجوداً ولابد أن يكون متصفاً بصفاتٍ تُميزهُ عن غيرهِ فنقول العالم مثلاً سين يتصفُ بصفاتٍ معينة والعالم صاد يتصفُ بصفاتٍ أخرى.

﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الكثير من المفسرين قالوا المقصود من العالمين هنا البشر وأُريدَ من العالمين كل عالم يعني كل شعبٍ من الشعوب وأرى هذا بعيداً، نعم هم استدلوا على ذلك بالآية ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وقالوا بأن يوم الدين هو يومٌ يحشَرُ فيهِ الإنسُ والجن، فالمراد من العالمين عوالم الجن وعوالم الإنس لكن الذي يتناسب مع كون السورة هي فاتحة لكتاب الله ومشتملة على مضامين كتاب الله بنحوٍ عام بنحوٍ مُجمل فليس العوالم التي خلقها الله سبحانه وتعالى محصورة بعوالم الإنس وعوالم الجن ما عوالم الإنس وعوالم الجن إلا شيئاً بسيطاً فيما خلقهُ الله سبحانه وتعالى، فالمراد من العالمين هنا جميع العوالم العوالم التي عرفناها والعوالم التي لم نعرفها، كل العوالم العوالم العلوية والعوالم السفلية عوالم الشهادة وعوالم الغيب.

﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هو تحميدٌ، ثناءٌ، شكرٌ لله سبحانه وتعالى على ما أسبغهُ على جميع الوجود وهذا يكون أنسب مع المقام الإلهي أن التحميد هنا وأن التربية هنا لجميع مقامات الوجود لجميع العوالم وليست خاصةً بعالم الإنس والجن ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هو بيانٌ لربِّ العالمين ولتربيته التي أصلها من رحمانيته ومن رحيميتهِ فما تربيتهُ للعالمين هذه التربية والتي لها مظاهر كثيرة الإخراجُ من العدم إلى الوجود هو نحوٌ من أنحاء التربية إسباغٌ الفضلِ والكرم على الموجودِ بما يحتاجه لقوام وجودهِ ولبقائهِ هو نحوٌ من التربية ترقي هذه الموجودات بأي نحوٍ من أنحاء الترقي ونمو هذه الموجودات أكان ذلك النمو نمواً مادياً أو نمواً معنوياً هو أيضاً نحو من أنحاء التربية وكل ذلك مَرَدُّهُ إلى الرحمانية وإلى الرحيمية ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وهنا الآية تُشيرُ إلى مالكيتهِ إنما جاءت الآية متحدثةً عن يوم الدين لأن الكتاب الكريم أعتمدَ من أولهِ إلى آخرهِ على خطين أساسيين: على خط التوحيد وخط الاعتقادِ بالمعاد، كلُّ ما في الكتاب الكريم روحُ ما في الكتاب الكريم يستندُ إلى التوحيدِ والمعاد أما النبوة والإمامة فهي متفرعةٌ عن التوحيد، النبوة والإمامة متفرعةٌ عن التوحيد الكتاب كله دائماً يُركِّز على هذين المعنيين وإذا أردنا أن نتتبعَ دعوات الأنبياء وأديان الأنبياء والتي هي دينٌ واحد إن الدين عند الله الإسلام كل الأنبياء دينهم واحد لكن هناك مظاهر وصور تتناسب مع كل زمانٍ ومع كل قوم، فالكتابُ كله يُرَكِّزُ على التوحيد وعلى المعاد وبهذين الأمرين تُضبَطُ مسيرةُ الإنسان لأن الإنسان من دون التوحيد سيضيع سيضل ومن دون أن تُضبط هذه المسيرة بالمعاد – **ورحم الله أمرئ عَرِفَ من أين وإلى أين** – من أين هو

التوحيد – **إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ** – فنحنُ راجعونَ إليه رحم الله امرئٍ عرف من أين من أين وهو المبدأ، وإلى أين وهو المعاد، هداية الإنسان تتوقف على هذين العمودين على المبدأ والمعاد، النبوة والإمامة تتفرعُ على المبدأ، وتكون واصلةً بالمعاد هي التي تقود الناس إلى معادهم الحميم ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يوم الدين لأنهُ هو العلامة الفارقة والعلامة الواضحة في مسيرة الإنسان ذلك اليوم الذي لهُ جلالهُ الخاص وهيبتهُ الخاصة ولا نريدُ الحديث هنا عن يوم الدين وخصوصياته كما قلتُ في بداية حديثي نحاول أن نُيسر المعاني بقدر ما يمكن، لكن الآية أشارت إلى يوم الدين لأن الذي يكون مالكاً ليوم الدين فهو مالكٌ لكل شيء فيوم الدين هو قرارٌ وهو محطة وهو نقطةٌ تكون جميع الأشياء محصورةٌ وحاصلة في ذلك اليوم الذي يملك يوم الدين هو يملكُ كل شيء لذلك السورة الكريمة أشارت إلى الرحمانية والرحيمية وعن الرحمانية والرحيمية تتفرعُ كل صفات الجمال وأشارت إلى مالكية يوم الدين وعن هذه المالكية تتفرع كل صفات الجلال، فَقَهَارِيَتهُ تَتَفَرعُ عن مالكيتهِ ليوم الدين وجباريتهُ وقابضيتهُ كل هذه المعاني تتفرع عن مالكيتهِ ليوم الدين.

﴿أَيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الآيات هذا القسم الأول من الآيات من البسملة إلى الآية الثانية ثم الآية الثالثة ثم الآية الرابعة الحديثُ عن التوحيد عن الله، الآن ينتقل الكلام عن العبد ﴿أَيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ والآية صريحةٌ في أن العبادة لله سبحانه وتعالى والعبادة ليست مخصوصةٌ بنحوٍ من الأنحاء وبطقسٍ من الطقوس نحن عبيدٌ لله والعبودية لله سبحانه وتعالى تتجلى في كل جزءٍ من أجزاء وجودنا وفي كل جزءٍ من أجزاء حياتنا والإنسانُ عبدٌ لله سواء أقرَّ بذلك أم لم يقر، إقرار العبد وإقرار الإنسان بالعبودية هذه مرتبةٌ عرضيةٌ من العبودية وإلا كل مخلوقٍ هو عبدٌ لله سبحانه وتعالى، أليس العبدُ وما في يدهِ لمولاه، فكلُّ مخلوقٍ هو لله سبحانه وتعالى هل هناك من مخلوق يستطيع أن يفر من حكومة الله وهل يمكن الفرار من حكومته؟ نحنُ نفرُّ إلى الله من الله ونلجأُ إلى الله من الله ونعوذُ بالله من الله ونلوذُ بالله من الله لا يمكن الفرار من حكومته نحنُ نفرُ من الله وإلى الله ونحنُ نبدأُ من الله ونعودُ إلى الله – **إِنَّا لِلّهِ** – هذه العبارة تختصرُ كل هذه المعاني – **إِنَّا لِلّهِ** – هذه اللام هي لام الملك – **إِنَّا لِلّه** – نحنُ ملكٌ لهُ – **وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ** – ومعادنا ومآبنا ومرجعنا إليه فنحنُ عبيده أعبدناه أم لم نعبده آآمنا بهِ أم لم نؤمن به أين نفر إلى أين نفر؟ الفرار من الله وإلى الله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ العبادة محصورةٌ به والعبودية محصورة له ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وقُدِّمَ الضمير هنا الضمير المنفصل لأجل الحصر ولا أريد الخوض في هذه التفصيلات النحوية أو البلاغية، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ العبادة لك وحدك فأنت المعبود ولا سواك ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وإني في عبادتي إياك استعين حتى في عبادتي لولا

معونتك يا آله العالمين فإني لا أستطيع عبادتك – **بِكَ عَرَفْتُكَ** – أنت الذي عرَّفتني عليك – **بِكَ عَرَفْتُكَ وأنتَ الذي دَلَلتني عليك ودَعوتني إليك ولولا أنتَ لم أدري ما أنت** – كلما قلتُ الحمد لله وجبَ عليّ أن أقول الحمد لله مرةً أخرى لأنهُ هو الذي وفقني أن أقول الحمدُ لله ولِذا حمدنا لله سبحانه وتعالى حمدٌ تسلسلي لا يمكن أن ينقطع لو قلنا مرةً الحمدُ لله فيجب علينا أن نقول الحمدُ لله ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾ العبادةُ لهُ وإليه وبهِ والاستعانةُ منه. ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ عبادتنا لك ﴿**وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ ونستعينُ بك، فالاستعانة منك حتى في عبادتنا فما قَدرُ عبادتنا إذا نُسبت إلينا كلُّ شيءٍ منه وكل شيءٍ إليه ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾ والصراط هو الطريق الصراط أو السراط على قراءتين والمعنى واحد الصراطُ والسراط هو الطريق وفي كتب اللغة يقولون أن السراطَ أو الصراط هو الطريق الواضح البيّن لم تستعمل الآية هنا اهدنا الطريق قالت اهدنا الصراط، الصراط هو الطريق الواضح ووصفتهُ بصفة الصراط المستقيم هذه الهداية للصراط المستقيم متى تأتي؟

بعد العبادة والاستعانة إذا هذه هدايةٌ خاصة وإلا حينما أقول إياك نعبدُ فإنني قد بلغتُ الهدى هل يمكن لقائلٍ يقول: إياك نعبدُ وإياك نستعين أعبدك وبك أستعين ولولا معونتك لما عبدتك يا إلهي، أليس هذا هو الهدى؟ إذاً أيةُ هدايةٍ هذه؟ هذه هداية أرقى من الهداية التي قبلها، نحن بعد أن نعبدهُ وبعد أن نستعين به نطلب منهُ الهداية ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ ثم تأتي الآية ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ**﴾ والهداية يُقال أن الهداية على نوعين: هداية إيصال وهداية إرائه، ما المراد من هداية الإيصال ومن هداية الإرائه؟!

هدايةُ الإيصال أنك توصلٌ شخصاً إلى هدفهِ حينما يطلبُ منك أن ترشدهُ إلى غايةٍ معينة إلى مكانٍ معين فإنك تأخذ بيدهِ فتوصلهُ، ومرةً تكشفُ لهُ عن الطريق تقول تذهب من هنا إلى هناك وتمر بكذا وكذا هذه إرائه، مرةً أوصلك إلى الهدف ومرةً أريك الهدف، فحين أوصلك إلى الهدف فهذه هداية إيصال وحين أريك الهدف أريك الغاية فهذه هداية إرائه والهداية هنا تشيرُ إلى المعنيين معاً ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ**﴾ اهدنا هداية الإيصال واهدنا هداية أرائه فنحنُ بحاجةٍ إلى هداية الإرائه وبحاجةٍ إلى هداية الإيصال لكن تبقى هذه النقطة مهمة أن هذه الهداية تأتي بعد ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ لأن إياك نعبد وإياك نستعين تحتاجُ إلى هدايةٍ قبلها وإلا كيفَ نعبدهُ ونستعين بهِ في العبادة إن لم نكن قد هُدينا فلابد من هدايةٍ أولى ووفقاً للهداية الأولى عبدناهُ واستعنا بهِ ثم كانت هناك هداية ثانية، الهداية الأولى مستبطنة في قولنا إياك نعبد وإياك نستعين، والهداية الأولى هي التي بينتها الآيات السابقة من البسملة والتحميد وقولنا:

﴿الرحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ من هنا يظهر معنى الهداية الأولى والتي تستتبعها العبادة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إذا ما بلغنا بالعبادة إلى ذروتها ولا تبلغ العبادة إلى ذروتها إلا بالاستعانة بالله سبحانه وتعالى حينئذٍ نطلبُ الهداية حينئذٍ تُفتح لنا أبواب جديدة ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ﴾ نطلب الهداية إلى صراطٍ مستقيم، أعودُ إلى معنى الصراط المستقيم بعد بيان تمام معنى الآيات الشريفة، هذا الصراط المستقيم تُبين لنا سورة الفاتحة الكريمة جانباً من أوصافهِ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ هذا الصراط صراطٌ لأُناسٍ لمخلوقات أنعمت عليها والحديث هنا أُناس واضح لأننا نتحدثُ عن البشر نتحدثُ عن الجن والإنس ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهدِنَا﴾ نحن البشر، نحن الإنسُ والجن ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ هؤلاء ﴿غَيرِ المغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وواضح هناك فئة أنعم الله عليها وهناك فئة غضبَ الله عليها وهناك فئة ضالة.

الذين أنعَمَ الله عليهم من هم هؤلاء الذين أنعم الله عليهم؟! قطعاً هم أشرف مخلوقاتهِ، هناك لو رجعنا إلى الكتاب الكريم لوجدنا أن الله سبحانه وتعالى قد أنعمَ على كثيرٍ من خلقهِ لكن قطعاً حينما يتحدث عن صراطٍ مستقيم عن صراطٍ كامل وينسب هذا الصراط إلى مجموعة من خلقهِ لابد أن تكون هذه المجموعة هي المجموعة الكاملة ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ صراط مستقيم صراط كامل ليس فيه اعوجاج ونُسِبَ إلى مجموعة وهذه المجموعة أنعم الله عليها وقلتُ في الكتاب الكريم هناك أصناف كثيرة من مخلوقات الله، الله قد أنعم عليها لكن قطعاً بقرينة الصراط المستقيم بقرينة الصراط الكامل فهو يتحدث عن مجموعةٍ كاملة وهي أشرف المجموعات التي أنعم الله عليها وهؤلاء هم قطعاً لا يُغضَبُ عليهم ولا يضلون ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ لا أريد الخوض في أقوال المفسرين أذهبُ بشكلٍ مستقيم ونحن على الصراط المستقيم وأذهبُ بشكلٍ مستقيم إلى أقوال الأئمة عليهم السلام قال المغضوب عليهم عن باقر العترة عن صادق العترة عن الصادقين المعصومين قالوا المغضوب عليهم هم النُصاب أعداء أهل البيت وفي بعض الروايات سموا بأسمائهم فلان وفلان، والضالون قال هم المشككون في الإمامة وفي الإمام الشُكّاك، قلت المفسرون قالوا وقالوا لكنَّ هذا قول مستقيم كالصراط المستقيم فنحنُ هنا نبحثُ عن الصراط المستقيم فنذهبُ بشكلٍ مستقيم إلى قول الأئمة إلى قول العترة إلى العترة الذين هم عدل الكتاب الذين هم تراجمه الكتاب تراجمه وحي الله، قالوا المغضوب عليهم النُصاب أعداءُ أهل البيت المخالفون لأهل البيت والضالون المشككون في

الإمامة والمشككون في عليٍ صلوات الله وسلامه عليه، هذه المعاني المجملة في سورة الفاتحة الآيات الأولى في التوحيد ثم الحديث عن الخطوط العامة للدين ثم تقسيم الناس، القرآن من أولهِ إلى آخره تحدَّثَ عن هذه المجموعات عن مجموعاتٍ أنعم الله عليها، عن مجموعاتٍ ضلوا وأضلوا وعن مجموعاتٍ غضبَ الله عليها ولا توجد مجموعات أخرى غير هذه المجموعات لذلك كانت هذه السورة هي الفاتحة هي التي كما قلت في أول حديثي هي براعة استهلالٍ للكتاب الكريم، براعة استهلال يعني البداية التي يبتدئ بها المتكلم فيوجز ما يريد أن يتكلم عنه بنحوٍ مقتضب.

تقريباً هذا المعنى العام في سورة الفاتحة الكريمة لكن بقيَ عندنا أن نقف عند الصراط المستقيم وهذه الآية هي جوهرُ سورة الفاتحة لأننا بعد التوحيد وبعد أن اهتدينا وقلنا إياك نعبد وإياك نستعين وصلنا إلى الهدف، الهدف الأسمى من الكتاب الكريم أيُ هدفٍ الكتاب ماذا يريدُ منا؟ يريد منا أن نتبع الصراط المستقيم لذلك لو نذهب إلى سورة الأنعام المباركة والآية الثالثة والخمسون بعد المئة ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ المتكلم هو الله وهذه الآية يتحدثُ فيها الباري سبحانه وتعالى عن صراطهِ هو ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ الله سبحانه وتعالى ينسبُ الصراط إلى نفسه ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ولا تتبعوا السبل، إذا اتبعنا السُبل النتيجة ما هي؟ ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن صِراطه ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ كلمة اتبعوه إذا أردنا أن نقفَ عليها ﴿وَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ .

إذا نرجع إلى كتب اللغة إلى لسان العرب لا أعني بلسان العرب كتاب لسان العرب ولا بأس بالرجوع إلى لسان العرب فهو من أفضل الموسوعات اللغوية إذا رجعنا إلى لسان العرب وإلى كلام العرب نجد أن هذا الفعل تَبِعَ يُستعملُ في الأصل وفي الحقيقة هو بإتباع الإنسان لا بإتباع غير الإنسان نعم قد يُقال أنك تتبع شيئاً ما يُقال هذا لكن في الأصل الاستعمال الأصلي لكلمة الإتباع هو إتباعٌ للإنسان إتباعٌ لمن يُتَبَع لقائدٍ لإمامٍ لِمُرشدٍ لِمُعلِّمٍ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الإشارة هنا واضحة طبعاً في روايات أهل البيت المقصود بالصراط المستقيم هنا عليٌ وبالسبل غيرُ عليٍ مهما تشتت الأقوال والأراء ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ مرادي من ذكر هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى حدد الهدف، الهدف الذي يريدهُ الله سبحانه وتعالى من الإنسان هو إتباعُ الصراط المستقيم وأن الهدف الذي يتحدثُ

عنه القرآن كلُّ القرآن ما هو هدفُ القرآن؟ هدف القرآن هو بنايةُ الإنسان بناءُ الإنسان القرآن ليس كتاباً سياسياً وليس كتاباً تاريخياً وليس كتاباً في الفلسفة أو في التصوف أو في العرفان القرآن ليس كتاباً فقهياً القرآن كتابٌ لبناء الإنسان، جاء محمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم كي يبني الإنسان كيف يبني الإنسان؟ جاء محَمَّدٌ صلى الله عليه وآله ليخرجَ الناس من الظلمات إلى النور ليخرِجَ الناس من الموتِ إلى الحياة، إذا أردت أن أُعرِّفَ القرآنَ القرآنُ كتابُ حياة ومعنى أن القرآن كتابُ حياة هو كتابُ بناء الإنسان، كيف يُبنى هذا الإنسان؟ نحنُ الآن الأمثلة تُضرب ولا تقاس لكن الآن في حياة الناس أي جهاز من الأجهزة الألكترونية أي جهاز من الأجهزة هناك معهُ كُتيب مُرشد يُرشدك كيف تستعمل هذا الجهاز ومن دون هذا الكُتيب إذا أردت أن تستعمل الجهاز خصوصاً الآن الأجهزة المعقدة فإنك سَتُفسِدُ هذا الجهاز.

القرآن هو هذا الكتاب الذي جاء وفيه كل المقومات لبناء الإنسان لأن يُعطي للإنسان حياةً يريدها الله الحياة الحقيقية الحياة التي عُبِّرَ عنها بالحيوان، الحيوان المعنى الأبل للحياة، القرآنُ كتابٌ لبناء الإنسان القرآن هو كتاب النور هو كتابُ الحياة وكتابُ الحكمة وكما قلت ليس كتاباً فلسفياً قد تجدُ في القرآن فلسفةً وقد تجدُ في القرآن عرفاناً وقد تجدُ في القرآن سياسةً وقد تجدُ في القرآن أدباً وبلاغةً وقد تجدُ في القرآن فقهاً وقد تجدُ وتجدُ في القرآن والقرآن تبيانٌ لكل شيءٍ قد تجدُ كل ذلك في القرآن لكنَّ القرآن تجمعهُ حقيقةٌ واحدة أنهُ كتابٌ لبناء الإنسان أنه كتاب الحياة الحقيقية هذه الحياة الحقيقية وهذا البناء الإنساني أين هدفهُ، أين يتكامل، أين يتجلى؟ يتجلى في الاهتداء إلى الصراط المستقيم ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ**﴾ كما مرَّ علينا قبل قليل في الآية الكريمة من سورة الأنعام المباركة ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ**﴾ والنتيجة ما هي ﴿**فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾ ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ**﴾ هذا هو الصراط المستقيم ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ**﴾ الهدفُ هنا.

ولذلك قلت بأن جوهرة سورة الفاتحة هي هذه الآية الآيةُ السادسة ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾ وهنا نقفُ عند هذه الآية الكريمة لا أقفُ عند معنى الهداية فإنني قلت الهداية قد تأتي بمعنى الإيصال أو بمعنى الإرائة وسيأتينا كلامٌ عن الهدايةِ في ما يأتي من برامج فيما يأتي من صفحاتٍ أخرى من صفحات الكتاب الكريم ربما نتحدث عن الهداية حينها وعن مراتبها وعن مضامينها لكنني أريدُ أن أقف عند الصراط المستقيم لأن الصراط المستقيم هو قلبُ سورة الفاتحة ولذلك قالها عليٌ صلوات الله وسلامه عليه: **وأنا النقطةُ تحت الباء**، هذه النقطة التي تحت الباء هي الصراط المستقيم، إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال:

الصراط صراطان: صراطٌ في الدنيا وهو عليٌ وهو الإمام المعصوم وصراطٌ في الآخرة وهو جسرٌ ممدودٌ على جهنم، وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا.

كلُّ الناس كلُّ البشر وكل الجان سيمرون على هذا الصراط لكنهم يختلفون في سرعة تجاوزهم وعبورهم، الروايات تقول إن الصراطَ إن الجسر الممدود على جهنم أدَقُ من الشعرة أدقُ من حد السيف أو كحد السيف والذين يعبرون منهم من يعبر كالبرق الخاطف بسرعة البرق، ومنهم من يعبر كعدوة الفرس كالفرس حين تعدوا، ومنهم من يعبرُ ماشياً، ومنهم من يعبرُ محتبياً يحبو وهو يحبو وهذا الذي تأخذُ جهنم منهُ شيئاً هكذا في الروايات، وإنما وردَ في وصف سيد الأوصياء بأنهُ قائدُ الغر المحجلين، من هم الغر المحجلون؟ الروايات تقول: هم شيعتهُ الذين يعبرون سِراعاً على صراط جهنم، غُر هناك أنوار في جباههم، محجلون هناك أنوار في أقدامهم تكشف لهم ظلمات الصراط على جهنم لأن هذا الجسر الممدود على جهنم يغوص في ظلمات جهنم هو أدق من الشعرة وعليه وحوله ظلماتٌ فوقها ظلمات، لا يتمكن من العبور إلا من كان عندهُ شيءٌ من نور فما بالك بأولئك الذين الأضواء والأنوار تسطع من جباههم ومن أقدامهم، يمكن أن أُقرِّب لك المعنى الآن الذين يعملون في المناجم المهندسون العُمال إلا يضعون مصابيح على الخوذ التي يلبسونها وفي بعض الأمكنة يستعملون نوع من الإضاءة في أرجلهم في أحذيتهم الغُر المحجلون الذين تسطع الأنوار من غُرَرِهم من جباههم ومن أقدامهم محجلون من موضع الحجل، موضع الحجل الموضع الذي تلبس فيه المرأة الحجل الحلية حلية الحجل فهم محجلون تسطع الأنوار من أقدامهم ومن جباههم فكما تمسكوا بصراطهم في الدنيا سيجوزون على صراطهم في الآخرة على أي حالٍ الروايات فيها تفصيل أكثر من ذلك وأنا قلت أنا سأقتضبُ المعاني لا أريد الغوص كثيراً في تفصيلات التفسير.

﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ لكن هنا وقفة هنا وقفة أقف عند الصراط المستقيم، صراط مستقيم هناك طريق وصفهُ الله سبحانه وتعالى بالاستقامة الله سبحانه وتعالى يصفُ طريقاً بالاستقامة وهذا هو الذي قال: ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي﴾ هذا الصراط هو المنسوب إلى الله ووصفهُ بالاستقامة هذا يعني أنهُ صراطٌ كامل لا عيب فيه لا خدش فيه لا نقص فيه، بالله عليك أين هو هذا الصراط؟ دعني من الروايات ودعني من أقوال المفسرين لِنحكِّم وجداننا لِنحكِّم الفهم الإنساني، تحدثتُ فيما مر عن الدليل الإنساني وعن الخطاب الإنساني لِنُحكِّم الإنسانية فينا أين هذا هو الصراط المستقيم؟ هذا الصراطُ المستقيم هل هو خطٌ وهمي، هل هو خطٌ وهمي كما نقول مثلاً عن خط الاستواء، أو نقول مثلاً عن خط كرينتش، خط الاستواء كيف يُعرِّفهُ الجغرافيون؟ يقولون هو خطٌ وهمي يقسم الكرة الأرضية إلى قسمين إلى نصفين متساويين فهناك ما يقع شمال خط الاستواء وهناك ما يقع جنوب خط الاستواء أو ما يُقال عنه خط

كرينتش خطٌ وهمي يُرمَزُ له برقم الصفر على أساسهِ يتم ترقيم الخطوط الأخرى خطوط الطول لأجل وضع موازين للتوقيت على أي حال هذه قضية معروفة في علم الجغرافيا فهو خطٌ وهمي خط الاستواء خطٌ وهمي وخط كرينتش خطٌ وهمي لا وجود لهُ، الصراط المستقيم هل هو خطٌ وهمي بالله عليك دلني عليه أين هو ما تعريفهُ؟! هل هو خطٌ وهمي نتبعه فكيف يكون صراطاً مستقيماً وهو خطٌ وهمي، هل هو خطٌ معنوي يتألفُ من نصوص متناثرة؟! القرآنُ حمالٌ ذو وجوه القرآن الكريم هل هو الصراط المستقيم إذا رجعنا لهُ لوحدهِ؟! والقرآن هو يحدِّثُنا في الآية السابعة من سورة آل عمران الآية صريحة هي تُعرِّفُ لنا الكتاب:

﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ فهناك مُحكمات وهناك متشابهات هو يُعرِّفُ نفسهُ هكذا يعني من يريد أن يدخل إلى هذا الكتاب سيضيعُ فيه سيتيهُ فيه.

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ ﴾ إذاً في القرآن منافذ وأبواب لابتغاء الفتنة وللزيغ فهل أن القرآن هو الصراط المستقيم؟ أو أن هناك شيئاً آخر هو الصراط المستقيم لأن القرآن إذا كان هو الصراط المستقيم فلماذا يكون أو يحدثُ بسببهِ هذا الزيغ؟ الصراط المستقيم واضح يمكنُ للإنسانِ الضال والمهتدي أن يراه وأن يبصره لكن الضال ينحرفُ عنه، فهل القرآن هو الصراط المستقيم؟ نعم القرآن يُدِلُنا على الصراط المستقيم، القرآنُ يُرشدنا على الصراط المستقيم لكن الصراط المستقيم ليس هو خطاً وهمياً ولا هو مجموع نصوص في الكتاب الكريم وفي حديث المعصومين الصراط المستقيم لابد أن يكون وجوداً كاملاً متكاملاً على أساسهِ يتم التشخيص – **ولولاك يا علي لم يُعرَف المؤمنون بعدي** – الصراط المستقيم لابد أن يكون علامةً واضحةً مميزةً، نحنُ إذا أردنا أن نرجع إلى سورة النساء وأنا هنا لا أريدُ أن استعمل أسلوب التفسير الموضوعي فذلك سيُدخلُني في موضوعٍ طويلٍ مُفصَّل لكن أشير إلى هذه الآيات الكريمة الآيات التي تبتدئ من الآية الرابعة والستين من سورة النساء وتنتهي بالآية التاسعة والستين ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ ﴾ وفي رواياتنا جاؤوك يا علي وواضح ﴿ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾ لأن الكلام لو كان لرسول الله لكانت الآية تقول: جاؤوك يا رسول الله فاستغفروا الله واستغفرت لهم لكن الآية قالت:

﴿ جَآؤُوكَ ﴾ يا علي ﴿ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾ بعد أن جاؤوكَ ﴿ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا * فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ فيما شَجَرَ بينهم في السقيفة حينما اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة وما شَجَرَ بينهم ما حدث بينهم من الشجار.

﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ وتستمر الآيات ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم ﴾ الحديث عن التسليم ﴿ مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا * وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ .

في ورايات أهل البيت: ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ ﴾ قال النبي صلى الله عليه وآله أنا ﴿ وَالصِّدِّيقِينَ ﴾ قال: عليٌ ﴿ وَالشُّهَدَاء ﴾ قال: الحسن والحسين ﴿ وَالصَّالِحِينَ ﴾ قال: حمزة وجعفر ﴿ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ العترة الطاهرة من ولد الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَلِيمًا ﴾ ﴿ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ الصراط المستقيم هو عليٌ وآل عليٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأعود بغض النظر عن هذه التفصيلات التي وردت في الروايات وقلت أنا لا أريد الخوض في كل هذه التفاصيل، أقفُ عند الصراط المستقيم فالصراط المستقيم كما قلتُ قبل قليل لا هو بخطٍ وهمي ولا هو بمجموعاتٍ من النصوص، هو موجودٌ هو حقيقةٌ هذه الحقيقة هي الإمام، الصراط المستقيم هو الإمام هو عليٌ هو الحسن هو الحسين هو إمام زماننا الحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه الصراط المستقيم هو هذا وهي هذه المعرفة الحقيقية هناك هداية مستبطنةٌ في إياك نعبد وإياك نستعين وهناك هدايةٌ أعلى وأسمى وأرقى ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾ والصراط المستقيم هو الإمام صلوات الله وسلامه عليه هذه الخطوط العامة والمعاني المُجملة لسورة الفاتحة للسورة الأولى الكريمة من كتاب الله الكريم ونحن إن شاء الله في كل حلقة من هذا البرنامج نتناول صفحةً من صفحات المصحف الشريف من دون الدخول في التفاصيل الكثيرة ومن دون التوغل في المعاني الجانبية والأراء المختلفة للمفسرين.

الطريقة التي أتبعها إن شاء الله نفس الطريقة التي اتبعتها اليوم أحاول تسليط الضوء على المعاني اللغوية وبشكل مُجمل على ما وردَ من روايات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وإلا فتفسير سورة الفاتحة يحتاج إلى كلامٍ طويلٍ وطويلٍ وطويل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمَّدٍ وآله الطيبين الطاهرين

وفي أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ